الانسان قضية

حياة العظام في التاريخ البشري، غنية بالمواقف، بالافكار، بالتضحيات، بالمشاعر، فيها من الدروس والعبر ما هو جدير بالدراسة والهضم، وعندما نتحدث هنا عن البارزين في التاريخ، فاننا لا نقصد بالطبع اولئك الذين برزوا بوحشيتهم وهمجيتهم واراقتهم للدماء، وانما نقصد الذين احترقوا كالشموع في سبيل الانسانية ومستقبلها ورفاهيتها، سواء باكتشافاتهم العلمية المفيدة، او بنضالهم الدؤوب الجسور ضد سالبي حرية الانسان، او اولئك الذين كدوا وسهروا وهم يكتبون للاجيال نتاجاتهم المختلفة لتكون مشاعل تكشف للعابرين الطريق، وتصوب المسير.

وحقيقة ان اي مفكر، اي مبدع اذا لم يمازج ويزاوج بين فكره وممارسته، يكون متناقضا مع نفسه، يعيش ازدواجا في الشخصية، اي ان كتاباته في واد، وسلوكه في واد آخر.

وقد نبه لينين لهذه القضية الهامة والرئيسية وحذر من انفصال النظرية عن التطبيق، هذا الموضوع الذي تعاني منه حتى نخاع العظم معظم الاحزاب الشيوعية العربية التقليدية، التي بقيت برامجها واطروحاتها تجتر نفسها على الورق عشرات السنين، تنتظر التطبيق الذي بقي

غائبا وسيبقى، ما دامت هذه الاحزاب تائهة بين ما تطرح وبين ما تمارس على الارض.

لذا علينا ان لا نستغرب تقهقر هذه الاحزاب وتراجعها وانفضاض الجماهير من حولها، واذا لم تتدارك هذا المرض الخطير، واذا لم تعمل بشكل جدي على تصحيح مسيرتها بثورية شجاعة، فان عجلة التاريخ لا ترحم، ولا تقرع ابواب النائمين لتوقظهم وتقدم لهم قهوة الصباح، بل تظل سائرة، ومن يتخلف عن مواكبتها يظل متحوصلا معزولا يتآكل في هوامش التاريخ.

فمثلا لو تمحصنا في الجانب الآخر في حياة ماركس، الجانب المسلكي الاجتماعي، لوجدنا ان مواقفه الصغيرة في حياته اليومية الاجتماعية تنسجم انسجاما كاملا مع الافكار العظيمة التي طرحها في مؤلفاته القيمة، الامر الذي اعطى هذه الافكار تماسكا وقوة، فالمناضل يظهر في المواقف الصغيرة قبل الكبيرة، والذي يعجز عن تنفيذ المهام المتواضعة لا يستطيع تنفيذ ما هو اكبر منها، فجميع الذين عاصروا ماركس اجمعوا على تواضعه الثوري، وعلى عمليته، واندماجه الكامل في قضايا العمال، حيث كان بيته مفتوحا باستمرار لهم، رغم وضعه الاقتصادي البائس، يستمع اليهم بطول نفس، يقف عند كل صغيرة وكبيرة من مشاكلهم، يستوضح احوالهم بدقة وصبر، لانه اول من يدرك، ان من يريد